الحوكمة في شعر الصلتان العبدي [القصيدة العينية أنموذجا]

د.ملاذ ناطق علوان
جامعة النهرين

م.د ديلم كاظم سهيل
رئاسة جامعة بغداد

الخلاصة

المفارقة هي الفرق والافتراق والفصل والتباعد والتباين والتمييز بين شيئين أو امرين او موقفين... لاسيما إذا كان هذان الأمران على طرفي نقيض، أو أحدهما خلاف الآخر، او بالضد منه... ولعل هذا المعنى يبقى أحادياً، مالم يردف بالمعنى الأصطلاحي بالمفارقة حتى يستقيم طرفا المعادلة – اي المفارقة من كلتا زاويتي الرصد.

وبحصر المعان والدلالات والمفاهيم قديمها وحديثها عن معنى المفارقة الاصطلاحي نصل إلى إنها ((أسلوب بلاغي عالي التقنية، أساسه عرض وجهتي نظر متعادلتين ، متعارضتين متضادتين ، بين مفهوم عام شائع واخر ذاتي فكري ، وكلما أشتد التضاد بينهما برزت المفارقة ، مما يضفي الوضوح والإيجاز والجمالية على النص الأدبي عامة والشعر خاصة من جهة ، وما تؤديه من دلالات أو معان عدة من جهة أخرى شرط أن تستفز ذهن القارئ وتحفزه لتجاوز المعنى الظاهر إلى المعنى المقصود للشاعر)).

وفي رصدنا للمفارقة عند العبدي نجدها تتشظى إلى (لفظية، موقفية، درامية، كونية) وهنا يكون لتفاعل المتلقي ووجهة نظره وضرورات أستجاباته الجمالية وفاعليته التأويلية وذخيرته المعرفية أهمية كبرى في استيعاب المفارقة وفهمها فنياً داخل النص .

وبعد ورود الامثلة من شعر العبدي على كل نوع من انواع المفارقة (لفظية ، موقفية ، درامية ، كونية) والغوص في مفردات النص الشعري نستدل على ان الشعرية في مفارقات العبدي تنهض على تفاعل الدلالة المعجمية مع الدلالة الإيحائية ، فيتولد عن هذا التفاعل التضاد والأندهاش واللامألوفية في احتشاد الدلالات على نحو غير متوقع يؤزم العلاقات بين المفردات ، فيمنح النص منطلقاً مغايراً للمألوف ويتألق شعرياً .

المقدمة :

عندما تشرق المعرفة بعلومها وفنونها المعاصرة ، لابد لها من تسليط الضوء على اعماقها التي تضم كنوزاً قيَّمة لم تَر النور أو إن الباحثين مروا عليها مروراً بسيطاً قد لا يذكر في احيانٍ كثيرة ، ولعل شاعرنا الصلتان العبدي واحداً من تلك الكنوز التراثية التي لم تأخذ دورها في إضاءة دروب المعرفة على الرغم من مكانته الشعرية والنقدية الكبيرة ، وربما يعود ذلك لضياع الكثير من تراث بني عبد القيس وأشعارهم ، ولكن لابد أن يأت يوم تتفجر فيه تلك الإضاءات لتنير مساحات طيبة من الفنون النقدية والشعرية ، لتضيف رافداً معرفياً جديداً إلى روافد الثقافة والحضارة العربية ، وقصيدة شاعرنا العينية إنموذجاً لقولنا المتقدم.

وقبل الولوج إلى الحوكمة لابد لنا من المرور على حياة شاعرنا الصلتان العبدي والتعريف به فهو قثم بن خبيّة بن قثم بن كعب بن سلمان بن عباد بن عبدالله بن عمرو بن هجرس بن ثعلبة بن عامر بن ظفر بن الديل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن افصى بن عبد القيس [1]. ولقب بالصلتان[2] لبيت قاله في قصيدته قيد البحث[3].

وقد شارك الصلتان في الأحداث السياسية التي عصفت بعصره، وكان من مؤيدي الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ، ولهذا لم يكن راضياً عن قضية التحكيم [4]. وهو شاعر مشهور في عبد القيس، وله مكانة بين شعراء عصره.

الحوكمة لغة واصطلاحا

الحوكمة، لغة مأخوذة من الحكمة والعدل ، ويقال أحكم الأمر أي أتقنه ، والحكيم، المتقن للأمور [5]. ويقال ((حَكَمَ)) بالأمر – حُكْماً : قضى ، ويقال : حكم له ، وحكم عليه، وحكم بينهما [6])) والرجل لايحكم بين الشعراء ، الا إذا أمتلك صفات لا تتوافر في غيره ، تؤهله لهذا الأمر الكبير، منها : ان يكون عارفاً باللغة، حافظاً للشعر وفنونه ، ويمتلك معرفة غزيرة بالحقائق العلمية والموضوعية ، وله القدرة على فهم القضايا وتحليلها ، كثير الاصابة ، صادق القول والفعل ، دقيق الملاحظة، له حس واعٍ ، وقلب حاضر، وعقل عميق الأدراك.

وقد تجمعت هذه الصفات في الصلتان العبدي مما اهله ليكون حكماً بين شاعرين عملاقين عاصراه ، وهما الفرزدق وجرير، وتذكر المصادر إن قصيدته قيد البحث قد جاءت في الحكم بينهما، وهذه الحوكمة بين الشعراء الفحول تعطي شاعرنا وقبيلته الشهرة والمكانة النقدية والشعرية التي كانا عليها في ذلك الوقت[7]

القصيدة العينية:

البحث يحاول قراءة القصيدة العينية للصلتان العبدي بطريقة معاصرة تكشف عن مستوى الحكمة والتحكيم في الشعر العربي القديم ، إلى جانب احكام علماء العربية ، ولعل من الأهمية بمكان أن نسلط الضوء على التفاضل بين الأجود والأجود ، ليشكل ذلك تعددية طبقية نقدية في الأداء والتحليل إضافة الى حاكمية المحتوى بتفرد وإمعان.

نستطيع القول إن الصلتان العبدي جعل قصيدته في اربع لوحات أو مشاهد ، أستهل المشهد الأول منها في وصفٍ لقضائه وشخصه الحوكمي ، فقد جاء في مطلعها قوله:

أنا الصَّلَتانيُّ الذي قد علمتمُ

متى ما يحكّمْ فهْو بالحق صادعٌ[8]

أطلق الشاعر على نفسه لفظة (الصلتان) وهو الرجل الشديد القوي ، الماضي في الأمور – وقد عُرف فيما بعد بهذا اللقب – وقد وجه هذا التعريف إلى جمهوره على الرغم من علمهم بصفاته التي ذكرها ، فهو متى ما اصدر حكماً يكون فاصلاً وبالحق ماضياً ، هذا المدخل لقصيدته الحوكمية لا يدع مجالاً للجدل او الشك في حكمه بين المحتكمين إليه.

نرى الشاعر قد افتتح قوله بالضمير المتكلم(أنّا)، ثم أردف بـ(الياء) في الصلتانيّ، وزاد عليه الأسم الموصول (الذي) وكلها توكيدات تدل على الآنا العالية للمتكلم ، ثم زاوج بذلك من خلال(علمتم) الضمير(أنتم) مع ماتقدم بواسطة حرف التحقيق(قد) وكل ذلك للتوكيد على صفاته الحوكمية. ثم يعود في الشطر الثاني ليتكلم عن نفسه ولكن بصيغة الضمير الغائب، نجد ذلك في (يحكم) والمقصود هو الذي يحكم من خلال الضمير المستتر(هو) ثم يربط الجملة الفعلية السابقة بواسطة أداة الربط (الفاء) بالضمير الظاهر(هو) والغاية منه توكيد للضمير المستتر (هو) في يحكم ، ثم يعزز ذلك بضمير مستتر آخر (هو) في صادع.

هذا الحشد من الضمائر المفردة التي تشير إليه ، مقابل ضمير واحد يشير إلى الجماعة(أنتم) ، ماهي إلا تأكيدات على صفاته وقدراته وامكانياته التحكيمية التي لا تقبل الشك.

اللفظ المكرر، والمعنى المردّد تتموضع باعتماد مبدئية أصدار الأحكام بأسلوب التوكيد الذي يكون عضد إزاء استثماره في النص رابطاً بطريقة تعليلية ضمنية بين مطلق القول بالحق(السبب)– القاضي– والمتلقي بالرضى (النتيجة) عوداً على صفاته ومعرفتهم به .

ويقول في البيت التالي:

أتتني تميمُ حين هابت قُضاتها

وإني لبالفضل المبين قاطع(9)

يذكر الشاعر إِن قضاة تميم اعتذرت عن التحكيم بين الفرزدق وجرير على الرغم من مكانتهم الحوكمية ومعرفتهم لقضايا الشعر والنقد ، لذا جاءت تميم إليه طالبة التحكيم بين الشاعرين المذكورين ، وإِنّه وافق أن يكون حكماً بينهما ناطقاً بالحق المبين القاطع.

نلاحظ أيضاً ظهور الأنا الواضحة فنجدها في (أتتني) ، (أنيَّ)، ثم الضمير المستتر(أنا) في قاطع.

يأخذ النص الشعري تدريجياً بشحن المتلقي ومحاولة جذب أنتباهه ، بل إِن أعتذار قضاة تميم ، وقبول الشاعر للحوكمة يمنح النص قيمومته الدائمة وتزامنه للأجيال المتعاقبة، ويظهر في طيات هذا النص المتلاحقة دلالة بحثية مبتغاة وموحية، وبالنتيجة فأن هذه الرؤية التحكيمية تقوم على تبني ضرب من ضروب التطويرية النقدية الذي شهده عصر الشاعر من ناحية ، وقبيلته من ناحية أخرى، وهذا الأمر يضيف قيمة معنوية وحضارية للشاعر ونصه.

ويذكر الشاعر:

كما أنفذ الأعشى قضية عامرٍ

وما لتميم في قضائي رواجع

ولم يرجع الأعشى قضية جعفر

وليس لحكمي آخر الدهر راجع[10]

يذكر الشاعر هنا تحكيم الأعشى في قضيتين مهمتين وردتا في الشعر العربي ، الأولى كانت بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة والثانية قضية جعفر، وفيهما كان حكم الأعشى نافذاً دون رجعة ، فأصبغ الصلتان على حكمه هذه الصفة ، وكله ثقة بأن تميم لن تراجعه في قضائه وحكمه، فهذا التشبيه زيادة في التأكيد على أنه نافذ المعرفة في الشعر، واثق القول ، صريح الحكم ، بعيد عن الميل والهوى لطرف دون آخر كما فعل الأعشى. فهو لن يرجع ولن يراجعه أحدٌ فيه حتى نهاية الدهر، وهذا زيادة في الثقة بالنفس والمعرفة بفنون الشعر وخفاياه.

مما تقدم يتضح إِن الشاعر خاضع للحالة الشعورية والنفسية التي تلف القصيدة الشعرية ، وإن فكره المبدع قد زاوج بين قدراته الشعرية، وامكانياته النقدية ، وشخصيته القضائية فجسد بذلك الرؤيا الأبداعية للشاعر العربي القديم بحلة حوكمية تثيرها مواقف شعرية تعبر عن مبدأ كوني ألا وهو التنافس والتفاضل بين الناس وبالتالي بين المبدعين إلا إنه احتفظ برمزيته العالية من خلال شخصية شاعرنا الصلتان ذات المعتقد العميق والموقف الثابت ، وهذا مثل تأثيرات مكانية وزمانية وفنية فردية هيمنت على المضامين الشعرية للنص فالقضية هنا لا تمثل فردية أو ذاتية الشاعر بقدر ما تمثل هموم الآخر، وهو الرعيل أو الطبقة الأولى من شعراء عصره. ويقول الصلتان :

سأقضي قضاءً بينهم غير جائرٍ

فهل أنت للحُكمِ المبين سامع[11]

يؤكد الشاعر إِن حكمه بعيد عن الظلم والجور، واضح معلل بالحجج والبراهين، ثم يتساءل هل أنتم سامعون؟!

هذا السؤال تفرزه الذات القلقة المأزومة للشاعرين- جرير والفرزدق- بأنتظار قضاء الصلتان ، ذلك القضاء الذي تدور حوله أفكارهما وأفكار الحضور والذي يمثل عنوان الأنتماء إلى عالم الجودة والبراعة الفنية ، بالمقابل هناك عاطفة مشبعة بالرضا والأطمئنان تجاه القضية وهي عاطفة الصلتان ولعل ما يستأنفه من قول يبين ذلك بصورة أوضح إِذ قال:

قضاءَ امرئ لايتقي الشتم منهمُ

وليس له في المدح منهمْ منافع

قضاء امرىءٍ لا يرتشي في حكومةٍ

إِذا مال بالقاضي الرُشا والمطامع[12]

يذكر الصلتان إِن قضائه صحيح صريح ، وإِن ناله من وراء ذلك الشتم والأذى، لإن القصد من قضائه احقاق الحق وليس كسب المنافع ، فلم

يعرف عنه أخذ الرشا ابداً ، وإن عُرف آخرون بذلك فغايته بعيدة عن المال والمطامع.

ماتقدم من أبيات شعرية هي المشهد الأول من قصيدة الصلتان والتي مثلت وصف لقضائه وشخصيته الحوكمية ، فكان صوته صادح بالأستقلالية التي ترصد الحدث القضائي في زوايا متعددة بتمفصل تركيبي ذات نمط بنيوي ترجمت غائية الشاعر وأظهرت الأقتناع بالحدث ومحاولة السيطرة وإخضاع الآخر للقضاء وفق معيار فكري افتراضي ذات دلالات فنية وحوكمية كثيفة المعاني رامزة في كثيرمن صورها تمثل تحول في طبيعة العلاقات القائمة بين الذات الشاعرة لشاعرنا من ناحية والشاعرين المبدعين جرير والفرزدق من ناحية أخرى ، وهذا يدل على إن شاعرنا يتحلى بمستويات إبداعية مختلفة ، منها الأبداع التعبيري من خلال نظمه للوحته الشعرية ، والأبداع التجديدي وايضاً الأبداع التخيلي الذي يظهر في قدرته للوصول الى افتراض جديد أو نظرية جديدة أو رؤيا حوكمية[13] كما هو الحال في قصيدته .

فشاعرنا يمتلك عقلاً ابداعياً يفكر في جميع الأتجاهات والأحتمالات الممكنة للوصول إلى نتائج فريدة أو جديدة ضمن قدرات معرفية ومعلوماتية دقيقة ومحددة، لذا نجد شاعرنا قد صنع علاقة إيجابية بين متغيرين هما نظم الشعر الذي يتضمن نظرة نقدية ووقفة تحكيمية في شعر غيره من الشعراء وهذه مهارات فردية نقدية تظهر أسلوب الشاعر في صناعة نصه ، مما يثير ويستفز المتلقي بفعل التنافس القائم بين المحتكمين من جهة ، ومحاولة الجودة والأبداع والبحث عن تسهيلات في التعبير عن الرأي تظهر هذا الأبداع وتنميه عند الشاعر الصلتان بأفضل الطرق التقليدية.

وفي انتقاله للمشهد الثاني من القصيدة يقول الشاعر:

فإن كنتما حكّمتماني فأنصتا

ولا تجزعا وليرضَ بالحق قانعٌ

فـــــإن ترضـــــيا أو تجزعـــــا لا أقلْكُمـــــا

وللحـــــقَّ بـــــين النـــــاس راضٍ وجـــــازعُ

فأُقْســـــمُ لا آلـــــو عـــــن الحـــــق بيـــــنهمْ

فإن أنـــا لـــم أعـــدلْ فقـــل أنـــت ضـــالعُ[14]

يوجه الصلتان خطابه إلى الخصمين – جرير والفرزدق – قائلاً لهما :

لقد اخترتماني للفصل بينكما، فعليكما القبول والرضا بما يصدر عنه القضـــاء، فما أقول هو الحق، فلا يجزع أو يحزن مَنْ يكـــون الحُكـــم عليـــه، وإن رضـــيتما أوجزعتما فهذا حال الناس إزاء القضاء فهناك مَنْ هو مقتنـــع راضٍ، وهنـــاك مَـــنْ يرى إنّه ظُلم.ويقسم الصلتان أمامهما إنَّه بالحق ملتزم لا يحيد عنه ، وإن فعل ذلك ، فهو غائر في الباطل والضلال.

بدا أمراً مؤكداً في المشهد الثاني من قصيدة الصلتان وهو إنَّه ملتزم بالمبادئ والمعايير الأدبية والنقدية، وسيكون حكمه وفق الأختيارات المعيارية التي تفرضـــها التجربة الشعرية المقدمة بين يديه، وبالتالي أعطى الصلتان صورة عـــن حكمـــه الذي تبلور عن ممارسات حوكمية سابقة، وفي هذا الإطار الذي يرتكز على أليـــات الخزين المعرفي للشعر والنقد بتجرد عالٍ تكون أحكامه قطعية وفي موضع تقدير واحترام من الناس عامة ومن أهل الصنعة خاصة.

بهذا يكون الصلتان في المشهد الثاني من القصـــيدة يعـــظ بـــأحترام الشـــرائع والاحكام ، والرضوخ لها، حتى في حالة عدم الأقتناع بها، بذلك يكون شاعرنا من النخبة الممتازة من العرب الشعراء، الذي لا يحيد عن ما تعارف عليه أهل الشـــعر والنقد من جهابذة العربية، لهذا يعرف الشاعران ان الحوكمة التي تنطلق من لســـان الصلتان – القاضي– هي التي سترفع أحدهما الى المنزلة التي تليق بشاعر فحل من الطبقة الأولى ، وهذا ايضاً لا يقلل من شأن الطرف الذي يقع عليه الحكم لأنـــه قـــد نافس شاعراً مجيداً فحلاً أمام قاضٍ تشهد له قبيلتا الشاعرين قبل العرب بالمعرفـــة والحكمة والموعظة والصدق. ولن يبلغ الأنسان هذا المركز المرموق إلا إذا عـــرف

نفسه وسعى في تهذيبها بالمعرفة وإذا مضينا إلى المشهد التالي من القصيدة سنقرأ فيه:

فـــإن يـــكُ بحـــرُ الحنظلِـــين واحـــداً

فمـــــا تســـــتوي حيتانُـــــهُ والضـــــفادعُ

ومايســـتوي صـــدرُ القنـــاة وزُجُّهـــا

ومـــا يســـتوي شـــمُّ الـــذرى والأكـــارعُ

ولـــيس الـــذنابى كالقـــدامى وريشـــه

وما تستوي في الكـــفِّ منـــكَ الأصـــابعُ[15]

وهنا يخوض الصلتان في الحوكمة الفعلية، فهو يقف عند البحر الذي نظمـــا فيـــه الشاعرين وهو البحر (الطويل)، فقد اتفقا في البحر الشعري المختار، وأن يكن بحر واحدٍ إلا ان لكل شاعر خصوصية في النسج والبناء، لذا يـــرى الصـــلتان كيـــف لا يستوي الحيتان والضفادع على الرغم من وجودهما في بحر واحد، فالأولى عملاقـــة كبيرة، حاضرة الوجود بوقع بيئي هادئ لكنه طاغٍ ومهيمن، والثانية صغيرة ضئيلة الحجم ، لا جمال لها ، ولا تشعر بحضورها، ولكنها قد تخدش سمعك بنقيقها، من هنا لا تستوي قصيدتا الشاعرين وإن اتفقتا في البحر. واضاف الصـــلتان أيضـــاً أن أول القناة لايستوي وأخرها، لأن في أولها غزارة ماءٍ وصفاءٍ وعذوبة وفي اخرها ضعف الماء وتقطعه واستدقاق القناة ، وتغير طعم مائها ولونها. كما لايستوي أعالي الجبال الشم مع أطراف الأرض واقاصيها البعيدة الصلبة، فلكل مكانته ومقامه.

كما لا يستوي أواخر ريش الطائر مع قوادمه، ولا تستوي اصابع الكف الواحدة ايضاَ لإختلافها في الطول والشكل والوظيفة .

نجد لغة الشاعر هنا مكثفةٍ ((مضغوطة مركزة تحوي معاني كثيرة بأقـــل مـــا يمكن من الألفاظ، خلافاً للنثر فهو فضاض موّسع ينطلق الناثر دونما خوف أو حذر من الإطالة، ومن وسائل التركيز في الشعر، حشد المعنى المسهب في عبارات قليلة يستغل الشاعر مافيها من إيحاء وأشعاع)) [16].

فالصور والتشبيهات التي اوردها الصلتان لها دور مهم في اغنـــاء الدلالـــة، وهذا يعتمد على قدرة الشاعر وسرعة إلتقاطه لكل ماهو ملفت ومؤثر، بحيث يغدو عمله متفرداً يشار إليه بالبنان.

ثم يستدرك شاعرنا بالقول:

الا إنمـــــا تحظـــــى كليـــــب بشـــــعرها

وبالمجـــــــد تحظـــــــى دارِمُ والأقـــــــارعُ

ومـــــــنهم رؤوس يهتـــــدى بصـــــدورها

والأذنـــــاب قـــــدماً للـــــرؤوس توابـــــع[17]

يقدم الشاعر هنا كليب قبيلة جرير لشعرها المتقن الصنعة الجميـل النسـيج، ويستدرك إن لدارم والأقارع وهما من بطون تميم قبيلة الفرزدق مكانـــة ومجـــد لا يضاهى، فيهم رجال ذو مقامات، قدوة للناس، يســيرون فـــي دروبهـــم، ويهتـــدون بهديهم، وأنه لأمر واقع وبديهي ان تتبع الأذناب الرؤوس.

بذلك حفظ الصلتان لكل شاعر منهما ما يميزه، فالأول – جرير – أقـــدر فـــي الشعر والصنعة، والثاني –الفرزدق– أقدر بالمكانة المرموقة لقبيلته:

ثم يردف الشاعر قائلاً:

أرى الخَطَفي بـــذَّ الفـــرزدقَ شـــعْرهُ

ولكـــنَّ خيـــراً مـــن كليـــبِ مُجاشـــعُ

فيا شـــاعراً لا شـــاعرَ اليـــوم مثلـــهُ

جريـــرُ ولكـــن فـــي كليـــب تواضـــعُ

جريـــرُ أشـــدَّ الشـــاعرين شـــكيمةً

ولكـــن علتْـــهُ الباذخـــاتُ الفـــوارع

ويرفع مـــن شـــعر الفـــرزدق أنـــه

لـــه بـــاذخ لـــذي الخسيســـة رافـــعُ

وقد يُحمــدُ الســيف الــدَّانُ بجفنــهِ

وتلقــاهُ رثــاً غِمــدُهُ وهــو قــاطع[18]

يقدم الصلتان جريراً على الفرزدق لكمال شعره وسبقه للفرزدق فــي الصــنعة والاجادة وبذلك غلب الفرزدق وسبقه في نصه قيد الحكم ، ولكن هذا لا يمنع من أن في مجاشع أصل الفرزدق خير من كليب قوم جرير.

وعلى الرغم من إن جرير لا يسابقه شاعر اليوم ولا يتقدم عليه احد في هــذا المضمار، لكن قبيلته عُرفت بالتواضع، فمكانة جرير الشعرية جعلته في المقدمــة بلا منازع، في حين مكانة الفرزدق الأجتماعية هي التي فرضت وجــوده علــى الساحة الشعرية. ويرى الصلتان إن فضل جرير يكمن في أنه اقدر فنياً وأشد نسجاً ، واجمل بناءً، ولكن عيبه في التأكيد على الفوارع والبذخ فيها.

اما فضل الفرزدق فيكمن في فخره وإمكانياته من رفع شأن القضايا البســيطة المتواضعة بإجادة وتمكن تفرضه شاعرا أمام جرير، وربما نجد السيف الــذي لا يقطع شيئاً ولا يمضي في أمر جميل بهي في غمدة ، لعدم معرفتنا بعيبه، في حــين هناك غمد رث لا يسر الناظر، ولكنه يضم بين جنباته سيفاً قاطعاً بتاراً وخلاصــة الأمر لا يغرنك مظهر الشيء دون معرفة حقائقه وتفصيلاته.

ونمضي في القصيدة العينية للصلتان حتى نصل مشهدها الأخير الذي قال فيه:

يُناشدني النصــرَ الفــرزدق بعــدما

ألحّــتْ عليــه مــن جريــرٍ صــواقع

فقلتُ لــه إنــي ونصــركَ كالــذي

يُثبّــتُ أنفــاً كشَّــمتْهُ الجــوادعُ

وقالت كليــبُ قــد شَــرُفْنا علــيكمُ

فقلــتُ لهــا ســدَّتْ عليــكِ المطــالعُ[19]

يناشد الفرزدق الصلتان النصر له بعد اذ رأى إن فنون العقل والصوت والبلاغة صواعق متعاقبة تميز شعر جرير وليس للفرزدق أمل في سبقه والغلبة عليه.

ولكن الصلتان وهو ذلك الحاكم بالعدل يرفضُ نصرة الفرزدق بل قد شبه تلك النُصرة كمِنْ قُطع أنفهُ وأعيد تركيبه فالعيب ظاهر بارز مهما نصرتك. وهذا ماجعل كليب تفخر على تميم وتعلن إنها قد تقدمتها بالشرف والمكانة، ولكن الصلتان وهو الحاكم بالعدل يرد عليهم فخرهم، لإنَّ المطالع قد سُدت عليهم ولم يأتِ بالمستوى الذي يفاخرون وقد تفوق بهذا الأمر الفرزدق.

ولابد لنا من القول إن من قضايا النقد الأدبي المهمة هي الحكم بين شاعرين مجيدين ، والتي شغلت النُقاد والشعراء على حدٍ سواء منذ عهد مبكر، لذا فالحوكمة أنطلقت من تقاليد وأعراف كانت بمثابة مفتاح لتطور المعرفة هذا التطور الذي استكملته الأجيال المتلاحقة فيما بعد، ويعد هذا الاتجاه غاية سامية باعتباره يرمي إلى حفظ قيَّم فنية عريقة، لأنها تمثل الريادة في فتق فن جديد لم يسبق إليه، وأضفاء قيَّم تأريخية وأخرى علمية على هذه القضايا.

ولأهمية القصيدة قيد البحث لابد لنا من الغوص في اغوارها بما يكفي لاستجلاء المعارف والتفصيلات المتراكمة بين ثناياها لا سيما وإنه جمع فيها بين الشعرية والنقد، لذا فإن قصيدته مخصصة لقارئ من نوع خاص.

لقد نسج الصلتان العبدي قصيدته في البحر الطويل، وأضاف إلى مميزات هذا البحر قافية عينية، أغنت موسيقى النص لما لهذا الحرف من صفات ذات ايقاع خاص، ((والحق أن تكوين (العين) فيه غموض لم يتضح لنا تفسيره بعد، وهي أقل الأصوات الأحتكاكية أحتكاكاً، ولعل هذا هو ما دعا علماء العربية إلى عدم ذكرها مع الأصوات الرخوة... وعدها واحداً من.... الأصوات المتوسطة))[20]، ثم اللفظة التي ينتهي بها البيت الشعري جاءت على وزن فاعل في أغلب الأحيان، وماكان منها جمع فكان على وزن فواعل، بالتالي فأن إضافة حرف (الألف) له ميزته الخاصة في الجرس الموسيقي للنص الشعري. وهو من الحروف الصامتة ومخرجها

حلقي يبدأ من أسفل الحلق حتى اقصاه.[21] ثم لتقارب المسافة الجرسية بين العين والألف، كل ذلك فجر متعة منبعثة من تتابع جرس الحروف والأصوات للفظة التي ينتهي بها البيت الشعري في أفرادها وتركيبها، وما أحدثته من رنين موسيقي كان له الأثر البالغ في الأسماع، مما أعطى دفقة موسيقية شعورية للبحر الطويل ميز القصيدة وزينها.

وعلى الرغم من أعتقادنا بأن القصيدة جاءت في أربعة مشاهد حوارية، إلاَّ ان هذا الحوار يدل على خزين معرفي ووعي فني يزينه الخيال الخصب، فأضاف لذة جمالية واستجابة عاطفية من قبل المتلقي وضعته على الطريق الواقع بين الأبداع والقراءة، مما يجعل النص الشعري في موضع الأرث النظري الإبداعي في الفصل بين آثار الشعراء الفحول وتوجيههم نحو هذا المسلك النقدي المتفرد . لقد غاص الصلتان في تعرجات الفكر الفني لكل شاعر منهما ، بطريقة الأنتقاء النقدي في مسارين : فني محض وآخر اجتماعي، وهو انتقاء طبيعي عقلاني توصل به إلى انشاء خطوط قاعدية نقدية من نوع ما. ولكنه أيضاً جسد بمهارة صورة التجربة الأبداعية بين المبدع المنشيء – الصلتان – والمتلقي المبدع– جرير والفرزدق–.

ونجد في نص الصلتان الكثافة الحضورية للمعنى وصياغتها الأدائية داخل البنية الغنائية للنص نامية ومتجددة، كما نلاحظ تناسخ دلالاتها وتنوع رؤيتها مما اعطاها سعة في موضوعاتها وخروجها الى التفنن المتقن، وغايتها المتبلورة في كل ذلك الجهد ملاحقة الرؤية الجمالية في النص المنشيء والنص قيد التحليل – هنا نصا جرير والفرزدق– وهذه مفارقة فنية من نوع خاص أعطاها المعنى الأيحائي من خلال التحويلات الجمالية المتحركة في حدود الآنا اللغوية الضامرة مرة والظاهرة أخرى، مما أنتجت دلالات في تشاكل لفظي عن طريق العلائق الأسنادية في جسد النص، وهذا يمثل علامة مضيئة في محاولات تحليل الواقع ورصد مشاهده.

ويذكر للرجل – الصلتان – أسلوبه الخاص في طرح أفكاره أولاً وفرش تحليله النقدي بطريقة عقلانية ثانياً ، وهو أمر مناسب لحسن المقام.

وتمثل قصيدته تركيبة فنية منظمة ومنتظمة من الحقائق أمكن التوصل إليها بمنهج خاص به من البحث والتحري والملاحظة والتحقيق ، ونراه يسعى جاهداً لأستخراج القواعد التي تحكم الظواهر (النصوص) المبحوث فيها في أنسجام بنائي غاية في الروعة يسري إلى جمالياته المعمارية المنحصرة بين اللفظ والمعنى من جهة والتركيب الموسيقى من جهة أخرى، والأستعانة بضابط الآليات اللغوية والبلاغية والأسلوبية وأردافها بقابلية الأجتهاد لديه.

فتأمل القصيدة التراثية سيبقى محاولة ذات جدوى مؤكدة في ميدان الجهد الطامح إلى تأشير خصوصية ما، ووضع سنن لقراءة جديدة.

لهذا نعتقد إن ما اوقفته الشروحات الأدبية والنقدية للنصوص الحوكمية في الأدب العربي لم تعط للنص القديم حقه وجماليته.

الهوامش :

(1) ابن الكلبي ، هشام بن محمد . **جمهرة النسب (ت204هـ)** ، تحقيق ناجي حسن ، عالم الكتب، بيروت، 1986م ، ص590. وينظر: البغدادي: خزانة الأدب: 155/2.

(2) *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002، ص500/2.

(3) **المصدر نفسه.**

(4) *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002، ص 55 – 56 .

(5) ينظر لأبن منظور ، **لسان العرب**، اعداد يوسف الخياط، دار لسان العرب ودار صادر، بيروت ، د.ت، مادة (حكم).

(6) الدكتور ابراهيم أنيس، الدكتور عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد. **المعجم الوسيط** ، ط2، ج1 ، القاهرة ، 1972.

(7) ينظر : *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002.،ص 46.

(8) ينظر : *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002، ص 55.

(9) ينظر : *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002.ص55 .

(10) ينظر : *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002، ص 55.

(11) ينظر : *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002، ص 55.

(12) ينظر : *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002، ص 55.

(13) ينظر: الهويدي ، د. زيد . **الإبداع، ماهيته، اكتشافه، تنميته** ، ط2 ، دار الكتاب الجامعي ، الامارات ، العين ، 2007، ص30–31.

(14) *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002, 55–56.

(15) *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002، ص 56 .

(16) الملائكة ، نازك. **سايكولوجية الشعر** ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1993م, ص34.

(17) *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002, ص56.

(18) *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002, ص56.

(19) *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002, ص57.

(20) د. كمال بشر ، **علم الأصوات** ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000, ص304.

(21) د. كمال بشر ، **علم الأصوات** ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000, ص185.

المصادر والمراجع:-

1- الدكتور ابراهيم أنيس، الدكتور عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد. **المعجم الوسيط** ، ط2، ج1 ، القاهرة ، 1972.

2- أبن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري(ت276هـ)، **الشعر والشعراء**، تح : أحمد شاكر، دار المعارف بمصر ، 1966م.

3- ابن الكلبي ، هشام بن محمد . **جمهرة النسب (ت204هـ)** ، تحقيق ناجي حسن ، عالم الكتب، بيروت، 1986م.

4- لأبن منظور ، **لسان العرب**، اعداد يوسف الخياط، دار لسان العرب ودار صادر، بيروت ، د.ت.

5- البغدادي ، عبد القادر بن عمر . **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، تح : عبد السلام محمد هارون، مط : دار الكتاب العربي للطباعة ، القاهرة ، 1976.

6- *** . **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي** ، جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2002.

7- د. كمال بشر ، **علم الأصوات** ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000.

8- الملائكة ، نازك. **سايكولوجية الشعر** ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1993م.

9- الهويدي ، د. زيد . **الإبداع، ماهيته، اكتشافه، تنميته** ، ط2 ، دار الكتاب الجامعي، الامارات ، العين ، 2007.